خطبة بعنوان: لذة الدنيا

يوم الجمعة: ١٦/٠٤/١٤٤١هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... فطر الله عز وجل الإنسان على الميل إلى الخلطة بالجماعة والاختلاط بالناس؛ ولهذا فهو يفتقر إلى الصحبة، ويحتاج إلى الرفقة؛ لأن الله عز وجل فطره على ذلك.. ولهذا فالرفقة لهم أثرٌ بالغٌ، وتأثيرٌ عميق على الإنسان. على قلبه، وأحواله، وسلوكه، وتصرفاته كلها؛ وذلك لأن الإنسان ينزَع إلى المُشاكَلَة، والتأثر بمن يخالطه.

أيها المسلمون... يتبين أثر المخالطة على الإنسان في قصة أبي طالب التي رواها البخاري لما دخل النبي ﷺ عليه وهو في مرض موته فقال:((يا عم قل كلمةً أحاج لك بها عند الله)) فنظر أبو طالبٍ إلى أبي جهلٍ وعبد الله بن أبي أمية، فقالا له :"أترغب عن ملة عبد المطلب؟" فقال: "هو على ملة عبد المطلب"، ومات على الكفر. وتظهر أثر الرفقة الطيبة على كلب أصحاب الكهف، فإنه لما خالط الصالحين بقي ذكره في العالمين.

أيها المسلمون... وقد بيَّن النبي ﷺ في غيرِ ما حديث أثر الرفقة على الرفيق، فجاء عند الترمذي وغيره أن النبيﷺ قال: ((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالِل)) ، وروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: ((مثل الجليس الصالح، والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يَحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة))؛ ولهذا أمر الله عز وجل بالصبر على الاجتماع بالصالحين، ومخالطة الطيبين فقال سبحانه:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف:٢٨] .

قال الحسن البصري رحمه الله: "استكثروا من الأصحاب الصالحين في الدنيا، فإن لهم شفاعةً في الآخرة. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة تذاكروا أصحابهم، فقيل أين فلان؟ فقيل: هو في النار، فيشفع فيه صاحبه من أهل الجنة. فيُخرج منها، ويُدخل إلى الجنة. فيقول أهل النار: بمَ خرج فلان؟ فيقال: بشفاعة صديقه فلان فيقول اهل النار حينئذٍ: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء:١٠٠-١٠١] ويوم القيامة يتفرق الأخلاء، ويتباعد الأصدقاء إلا أهل الإيمان ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف:٦٧]، ويوم القيامة يندم الخليل على مخالطة خليل السوء ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا* يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا* لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾[الفرقان:٢٧-٢٩]

أيها المسلمون... من يصاحب الإنسان؟ يصاحب المؤمن. روى أبو داوود والترمذي أن النبي ﷺ قال: ((لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي)). يصاحب المؤمن الصادق، الصادق في قوله، والصادق في فعله، والصادق مع الله، والصادق مع نفسه، والصادق مع الناس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩] يصاحب المؤمن ذا المروءة، فإن مروءته تحمله على أن يفعل معك ما يزينه، وأن يجتنب ما يشينه.

أيها المسلمون... تنفع الصحبة وتدوم إذا كانت قائمةً المحبة في الله ، روى الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله))، وجاء عند البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: ((سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...وذكر منهم: رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه)).

تنفع الصحبة وتدوم إذا كانت قائمةً على التعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وهؤلاء هم أهل النجاة في الدنيا والآخرة، فإن الله تعالى أقسم على ذلك فقال: ﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:١-٣] .

تنفع الصحبة وتدوم إذا كان كل واحد من الأصحاب يتمنى الخير لصاحبه ويبذله له، روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) .

تنفع الصحبة وتدوم إذا تغاضَوا عن الزلات، وأغفلوا الهفوات، وتجاوزوا العثرات؛ ولهذا روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال:((لا يفرَك مؤمن مؤمنة- يعني لا يبغض مؤمن مؤمنة- إن كره منها خلقًا رضي منها آخر))، فالصاحب ينظر إلى خلال صاحبه الحسنة ولا ينظر إلى خلاله السيئة، بل يتجاوز عنها، ويعفو عنها، ويتغاضى عنها.

أيها المسلمون... تنفع الصحبة وتدوم إذا كان هناك إقلالٌ من اللوم، والعتاب، وكثرة التضجر فإن كثرة العتاب توجب الوحشة، وتزيل المودة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا:﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.